

الطريقة الرفاعية...

الانحرافات العقدية والظلال السياسية

الكاتب

فريد مناع



الطريقة الرفاعية.. الانحرافات العقدية والضلال السياسية

خاص إحسان

فريد مناع

تنسب الطريقة الرفاعية إلى الشيخ أحمد بن علي الرفاعي، والذي ولد في أول سنة خمسمائة من الهجرة، وتوفي سنة ثمان وسبعين وخمسمائة في جمادى الأول رحمه الله، قال عنه الذهبي: (الإمام القدوة العابد الزاهد، شيخ العارفين، أبو العباس أحمد بن أبي الحسن علي بن أحمد بن يحيى بن حازم بن علي بن رفاعة الرفاعي المغربي ثم البطائحي، قدم أبوه من بلاد المغرب وسكن البطائح في قرية "أم عبيدة" وهي قرية من قرى واسط العراق، ثم توفي وأم أحمد حمل به، ونشأ في كنف خاله الشيخ منصور الزاهد الذي اعتنى به، وكان شافعيًّا تفقه قليلًا على مذهب الشافعي رحمه الله.

وكان كثير الاستغفار عالي المقدار، رقيق القلب، غزير الإخلاص، وكان متواضعًا يجمع الحطب ويجيء به إلى بيوت الأرامل،)[1].

إلا أن بعض أتباعه بدأوا في تغيير الطريقة التي كان عليها مع دخول التتار العراق، ونسبوا إليه أمورًا هو بريء منها، قال الذهبي في كتاب العبر: (وكان إليه المنتهى في التواضع والقناعة، ولين الكلمة والذل والانكسار، والإزراء على نفسه، وسلامة الباطن، ولكن أصحابه فيهم الجيد والرديء، وقد كثر الزغل فيهم، وتجددت لهم أحوال شيطانية منذ أخذت التتار العراق؛ من دخول النيران، وركوب السباع، واللعب بالحيات، وهذا ما عرفه الشيخ ولا صلحاء أصحابه، فنعوذ بالله من الشيطان)[2].

(1) سير أعلام النبلاء، الذهبي، (21/77-80) بتصرف، والعبر في خبر من غبر، الذهبي، (3/75).

(2) العبر في خبر من غبر، الذهبي، (3/75).

وينتشر أتباع هذه الطريقة في العراق ومصر وسوريا وغرب آسيا، ولهم راية باللون الأسود تميزهم عن باقي الطرق الصوفية.

المؤلفات المنسوبة إلى الرفاعي:

وقد نسبت إلى الرفاعي كتب ورسائل عديدة، فنسب إليه كتاب "البرهان المؤيد" وكتاب "حالة أهل الحقيقة مع الله"، وهذان الكتابان يعتبران عند الرفاعية من أوثق ما نسب إلى الشيخ، فإنهم يقولون عن كتاب البرهان: (هذا الكتاب الذي عز شأن سبكه عن المثيل، الذي جمعه من مجالس وعظه شرف الدين ابن عبد السميع الهاشمي الواسطي)[1].

أما كتاب "حالة أهل الحقيقة مع الله" فإنه ليس له مستند يصح نسبته إلى الشيخ أحمد رحمه الله، وإنما أكد أتباعه صحة نسبته إليه، وهذا الكتاب عبارة عن تعليقات على الأحاديث التي يأتي لها بأسانيد خاصة بأهل البيت عن النبي صلى الله عليه وسلم لم تذكر في كتب الحديث المعروفة كالبخاري ومسلم.

ويظهر منه عدم التضلع في علم الحديث عند الشيخ، حيث إنه يذكر كثيرًا من الأحاديث التي لم تصح مثل حديث: (من ولد له ولد فسماه محمدًا كان هو ومولوده في الجنة)، وحديث: (نظر الولد إلى والده عبادة)، بل ويكثر أن يقول: (قال الله في بعض كتبه)[2]، كما نقل ما يتضمن مخالفات صريحة للتعاليم النبوية، مثل ما أورده من أن النبي صلى الله عليه وسلم وبخ أحد

(1) انظر: المعارف المحمدية في الوظائف الأحمدية، عز الدين الصيادي، ص(65)، وخزانة الإمداد، عز الدين أحمد الصياد، ص(64).

(2) حالة أهل الحقيقة مع الله، الرفاعي، ص(139 و153 و131).

الناس لأنه قبَّل ولده[1]، مع أن الثابت عنه صلى الله عليه وسلم عكس ذلك تمامًا.

ودعا المحبين إلى الرضا بالنار وحمد الله على الدخول فيها يوم القيامة لأنها من قضاء الله! فقال: (الله أمر جبريل أن يخبر أحد العابدين أنه من أهل النار، فلما أخبره خر ساجدًا يشكر الله ويقول: لك الحمد يا مولاي على قضائك وقدرك حمدًا يعلو حمد الحامدين)[2]، كما ينقل عنهم الاستهانة بها مثل قول أحدهم: (إلهي لا تدخلني في النار فإنها تصير علي بردًا من حبي لك)[3].

هذا بعض ما ورد في الكتابين غير أنه ليس باليد ما يؤكد صحة نسبتهما إليه والله أعلم، ولعله أن يكون من الصحيح أن لا تصح نسبة ذلك إليه رحمه الله[4].

وهناك كتب أخرى جمعها المنتسبون إليه من بعده ككتاب "المجالس الرفاعية"، وكتاب "رحيق الكوثر"، وكتاب "حكم الرفاعي"، وذكر الزركلي بعضًا من أبيات الشعر التي نسبت إليه وقال أن الصحيح أنها ليست له[5].

ومهما يكن من أمر هذه الكتب فإنه إن ثبتت صحتها إليه فإن فيها كثيرا مما يضاد سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقيدة الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين، وليس أقلها الاستغاثة بغير الله تعالى، التي كان الشيخ نفسه ينهى عنها في حياته مع شيوعها في المنتسبين إلى هذه الطريقة، فإننا نجد الرفاعي في غير موضع ينهى عن الاستغاثة بغير الله وعن الابتداع في الدين،

---

(1) المصدر السابق، ص(92).

(2) المصدر السابق، ص(144-115).

(3) المصدر السابق، ص(72).

(4) الطريقة الرفاعية، عبد الرحمن دمشقية، ص(12-14)

(5) الأعلام، الزركلي، (174/1).

مـن ذلـك أنـه ذكـر أن الله غضـب مـن أحـد الزهـاد لمـا أراد أن يسـتغيث بغـيره وقـال لـه: (أتسـتغيث بغـيري وأنا الغيـاث)[1]، وكـان يقـول: (مـن لم يـزن أقوالـه وأفعالـه وأحوالـه في كـل وقـت بالكتـاب والسـنة ولم يـتهم خـواطره؛ لم يثبـت في ديوان الرجال)[2].

كرامات مزعومة:

وتختلـف سـيرة الرفـاعي عنـد الرفاعيـة اختلافًـا كثـيرًا عمـا نجـده مـن سـيرته في كتـب المـؤرخين، فقـد نسـبوا لـه كرامـات عديـدة، وسـاروا عليهـا مـن بعـده، وفيمـا يلي بعض هذه الكرامات المزعومة:

1- أنـه خلـق مـن مـادة مميـزة: فقـد جعلـوا مـادة خلقتـه مميـزة عـن سـائر البشـر، فنجـد أن محمـد أبا الهـدى الصـيادي يجعـل روح الشـيخ أحمـد الرفـاعي مركبـة مـن خلاصـة أرواح الأنبيـاء بـل مـن نـور وجـه الله عـز وجـل، فقـد جـاء في كتابـه "قـلادة الجـواهر" أن الشـيخ أحمـد الرفـاعي قـال: (قـبض العزيـز جـل جلالـه مـن نـور وجهـه قبضـة فخلـق منهـا سـيدنا المصـطفى محمـدًا صـلى الله عليـه وسـلم فرشـحت فخلقـني منهـا)[3]، وجـاء في كتـاب الـروض النضـير أن الله أمـر كـل نـبي أن يعطـي شـيئًا مـن روحـه إلى الشـيخ الرفـاعي، فأجـاب الأنبيـاء ربهـم إلى ذلـك، وأعطـى كـل مـنهم شـيئًا مـن روحـه إلى الشـيخ الرفـاعي، فتكونـت روحـه مـن أرواحهم ومن روح جده المصطفى[4].

وهـذا لم يحـدث لآدم عليـه السـلام لمـا خلقـه الله تعـالى، قـال سـبحانه: {وَإِذْ قَـالَ رَبُّـكَ لِلْمَلَائِكَـةِ إِنِّي خَـالِقٌ بَشَـرًا مِـنْ صَلْصَـالٍ مِـنْ حَمَـإٍ مَسْـنُونٍ (28) فَـإِذَا

(1) حالة أهل الحقيقة مع الله، الرفاعي، ص(121-122).

(2) حكم الرفاعي، ص(21)، والأنوار القدسية، الشعراني، (26/2).

(3) قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر، محمد أبو الهدى الصيادي، ص(133).

(4) الروض النضير، عبد الرحمن القرشي، ص(57).

سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ} [الحجر: 29]، ولم يحدث هذا للأنبياء فضلًا عن غيرهم، وقال صلى الله عليه وسلم: (أنتم بنو آدم، وآدم من تراب)[1]، فبنو آدم جميعهم خلقوا من تراب، وقد وقع الصوفية فيما حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم حين قال: (إياكم والغلو في الدين، فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)[2].

2- أعمال لا يقدر عليها بشر: ومن أعجب ما حُكي عن الشيخ الرفاعي أنه كان يذوب كالرصاص ويستحيل إلى ماء كلما جلس يتعبد الله تعالى، فقد ذكر محمد أبو الهدى الصيادي أنه لما كان الله يتجلى على الرفاعي بالعظمة كان يذوب حتى يبقى بقعة ماء، ثم تدركه الرحمة الإلهية فيجمد شيئًا فشيئًا حتى يعود بدنه إلى ما كان عليه فيقول لأتباعه: (لولا لطف الله ما عدت إليكم)[3].

كما أنهم لا يأكلون ولا يشربون، فقد ذكر الصيادي أن الشيخ الرفاعي بقي مرة نصف نهار لم يشرب ماء فوجد قدحًا على التنور وفيه ماء وسخ من غسل الأيدي، فقالت له نفسه: قد عذبتني نصف النهار بالعطش وتسقيني من هذا الماء الوسخ؟ فلما رأى منها هذا العتاب ألقى القدح من يده وأقسم أن لا يذيقها الماء سنة كاملة، وفعل ذلك[4].

---

(1) رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب في التفاخر بالأحساب، (5118)، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود، (5116).

(2) رواه ابن ماجه، كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي، (3029)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، (3029).

(3) قلادة الجواهر، محمد أبو الهدى الصيادي، ص(67).

(4) المعارف المحمدية في الوظائف الأحمدية، عز الدين الصيادي، ص(74).

والشيخ أبو رفاعة المهدي الرفاعي بقي أربعين يومًا متتالية لا يأكل ولا يشرب ولا ينام، ومع ذلك كله لم يغب عن أداء ما افترضه الله عليه(1)، وكذلك السيد ولي الله "السكران" أبو محمد اليعقوبي الرفاعي كان كثيرًا ما يمكث السنة أشهر لا يأكل طعامًا ولا يشرب ماء(2).

ولقد ضرب الشيخ عثمان بن مروزة البطائحي الرفاعي الرقم القياسي في الامتناع عن الطعام والشراب، حيث بقي بلا طعام ولا شراب سبع سنين(3).

فهل حصلت هذه الكرامات لنبي من الأنبياء فضلًا عن أن تحصل لغيرهم؟! فقد أنزلوا أنفسهم منزلة لم يصل إليها الأنبياء ولا الملائكة المقربون، {كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا} [الكهف: 5]، وقد قال تعالى في شأن عيسى ابن مريم عليه السلام وأمه: {مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ} [المائدة: 75]، وهذ ما تعجب منه المشركون حينما قالوا: {مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا} [الفرقان: 7].

3- نسبة الرفاعي لآل البيت: وقد نسب الرفاعية الشيخ الرفاعي إلى آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، وألفوا العديد من الرسائل والكتب لإثبات ذلك النسب، وقد تزعم هذه الحملة محمد أبو الهدى الصيادي الذي لم يزل يذكر هذه النسبة في رسائله التي كتبها عن الرفاعي، وخصص لهذا الموضوع مؤلفات منها كتاب "التاريخ الأوحد للغوث الرفاعي الأمجد"، وكتاب "سلاسل القوم"، ومع القناعة التامة بأن النسب لا يقدم ولا يؤخر في صلاح

(1) ذخيرة المعاد في ذكر السادة بني الصياد، محمد أبو الهدى الصيادي، ص(22).

(2) إرشاد المسلمين، الفاروثي، ص(117).

(3) جامع كرامات الأولياء، يوسف بن إسماعيل النبهاني، (142/2).

المرء أو فساده فلا يجعل الرفيع وضيعًا ولا الوضيع رفيعًا، فإن مدار النجاة على الإيمان والعمل الصالح، غير أن الشيخ عبد الرحمن دمشقية تابع هذه النسبة للقناعة التامة بأن الصوفية دأبوا على ربط من يعظمون من مشايخهم بآل البيت، ووضعه أنساب مكذوبة، وبالفعل بين أنه لا ينتسب لآل البيت، وذكر عددًا من أقوال العلماء والمؤرخين في إنكار ذلك[1].

العلماء يكشفون حيلهم:

وقد تصدى ابن تيمية لهذه الكرامات المزعومة كاشفًا حيلهم، ففي يوم من الأيام اجتمع بهم بحضور أمير البلاد آنذاك وتحداهم بأن يدخلوا النار ويدخل هو معهم بشرط أن يغسل الجميع أجسادهم بالماء الحار والخل، فسأله الأمير عن سبب ذلك فأخبره بأن الرفاعية يطلون أجسادهم بأدوية يصنعونها من دهن الضفادع وباطن قشر النارنج وحجر الطلق وغير ذلك من الحيل المعروفة، فلم يكن منهم إلا أن تراجعوا وطلبوا العفو من الأمير وأعلنوا التوبة أمام الملأ، وهذه القصة موجودة بتفاصيلها في كتاب البداية والنهاية لابن كثير[2].

وممن تصدى لهم أيضًا الشيخ رشيد رضا فبين أن ما يفعله الرفاعية من اقتحام النار، وضرب الشيش، وإدخال الحديد المحمي في ألسنتهم، وأكل الحيات والحشرات؛ إنما هو من الشعوذة التي لا ينفردون بها عن غيرهم، بل إنها منتشرة بين كثيرين من المنتمين إلى أديان ومذاهب ونحل مختلفة وفي أقطار عديدة[3].

---

(1) الطريقة الرفاعية، عبد الرحمن دمشقية، ص(36-43).

(2) البداية والنهاية، ابن كثير، (36/14)، مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (445/11).

(3) تفسير المنار، رشيد رضا، (22/25-26).

ويحكي قصة حدثت له معهم فيقول: (لقد شاهدت عمل الرفاعية في إدخال السيف في البطن والحربة في جفن العين، وقد أحرجت واحدًا منهم وطلبت منه أن يمكنني من وضع النار حيث أريد من بدنه فلم يقبل، ثم استتبته فأظهر التوبة عن مخادعة الناس بذلك)[1].

ومن الملاحظ أن الصوفية اهتموا بأمر الكرامات حتى نسبوا لأنفسهم كرامات مكذوبة، واستخدوا هذه الكرامات لخداع الناس وسلب عقولهم لتمرير انحرافاتهم، والكرامات ثابتة عند أهل السنة والجماعة، قال ابن تيمية: (ومن أصول أهل السنة: التصديق بكرامات الأولياء، وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات، وأنواع القدرة والتأثيرات، والمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر فرق الأمة، وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة)[2]، وقال أيضًا: (فأولياء الله المتقون هم المقتدون بمحمد صلى الله عليه وسلم، فيفعلون ما أمر به، وينتهون عما عنه زجر، ويقتدون به فيما بين لهم، وأن يتبعوه فيه، فيؤيدهم بملائكته وروح منه، ويقذف الله في قلوبهم من أنواره، ولهم الكرامات التي يكرم الله بها أولياءه المتقين)[3].

إلا أن أهل السنة والجماعة وضعوا عددًا من الضوابط في إثبات الكرامة، منها:

1- أن السلف لم يكن لهم عناية بالكرامة.

2- الأفضل في الكرامة سترها وكتمها عن الخلق.

(1) من مقال بعنوان: أسئلة من بعض أهل العلم بتونس، رشيد رضا، مجلة المنار، ربيع الآخر 1325هـ.

(2) شرح العقيدة الواسطية، الهراس، ص(252).

(3) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (11/274-275).

3- الكرامة الحسية ليست عمدة في حصول الولاية، وقد تظهر على غير الكامل.

4- لا يعني حصول الكرامة أن صاحبها أفضل ممن لم تظره عليه.

5- من مات من أصحاب الكرامات الثابتة فإن القلوب لا تتعلق به.

6- سبب الكرامة طاعة الله تعالى والاستقامة على أمره.

7- استقامة العبد على الكتاب والسنة أفضل الكرامات.

8- كرامة الولي لا تبلغ جنس آية النبي.

9- الكرامة الممدوحة إنما تكون في نصرة الدين، وإعلاء كلمة الله، وأما إذا صرفها فيما يسخط الله فإنها تنقلب نقمة على صاحبها.

10- الكرامة الممدوحة لا تعارض الأحكام الشرعية.

11- الكرامة قد تكون فتنة واستدراجًا.

12- الخارق قد يكون من عمل الشيطان وتلبيسه.

وهذا ما لا يتحقق في كرامات الصوفيين المزعومة.

انحرافات عقدية وبدعية:

ولقد وقع الرفاعية في انحرافات عقدية وبدعية كثيرة تخالف الشرع الصحيح والعقل السليم، وذلك لما فتحوا باب الكرامات على مصراعية، ليطمسوا على عقول مريديهم، ومن هذه الانحرافات:

1- أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى الرفاعي صكًّا بعدم دخوله النار: فيدعي الرفاعية أن الشيخ الرفاعي كان بيده ورقة بيضاء فنادى أحد أتباعه وقال له: يا فلان تعال واقرأ هذه الورقة قال: فقرأتها وهي مكتوبة بالنور، فقال الرفاعي: رأيت في المنام رسول الله فأعطاني هذه الورقة وقال: يا أحمد، هذه براءتك من النار، قال: فأخذت الكتاب فقرأته وإذا فيه مكتوب:

براءة ابن أبي الحسن من النار، ثم انتبهت وإذا الكتاب بيدي[1]، ولم يقتصر الأمر عند ذلك الحد، بل ازداد ليجعل كل من مسته يد الرفاعي محرمًا على النار[2]، ويشبه ذلك صكوك الغفران عند النصارى.

وأنى لهم ذلك والنبي صلى الله عليه وسلم لم يستطع أن يستغفر لأمه لتدخل الجنة، قال صلى الله عليه وسلم: (استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي)[3]، بل ولا يملك صلى الله عليه وسلم الهداية للناس حتى يدخلوا الجنة أو يخرجوا من النار، قال تعالى: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} [القصص: 56]، فإذا كان هذا هو حال سيد الثقلين وأحبهم إلى الله تعالى فكيف يتأتى لمن هو دونه؟!

2- الرفاعية يعرجون إلى السماء ويمحون ما في اللوح المحفوظ بزعمهم: فقد ذُكر أن الشيخ الرفاعي قال: أيها الفقراء، الشيخ عثمان السالم أبادي قدس الله سره يصعد كل يوم عند غروب الشمس إلى ديوان الربوبية، وينظر ديوان ذريته، فما يجد من سيئة يمحوها ويكتب عوضها بلا معارضة، ثم التفت إلى ابن أخته إبراهيم الأعزب وقال له: يا إبراهيم، لا يكون الرجل ممكنًا في سائر أحواله حتى يعرض عليه عند غروب الشمس جميع أعمال أصحابه وأتباعه وتلامذته فيمحو منها ما يشاء ويثبت[4].

وهذا ادعاء كاذب بأنهم يعلمون ما في اللوح المحفوظ ويقدرون على تغييره، وقد قال الله تعالى: {قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللهُ} [النمل: 65]، وأمر نبيه أن يقول: {قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ

---

(1) إرشاد المسلمين، الفاروثي، ص(82).

(2) المصدر السابق، ص(87).

(3) رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب استئذان النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل في زيارة قبر أمه، (2303).

(4) إرشاد المسلمين، الفاروثي، ص(193).

وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ} [الأنعام: 50]، ولم يكتف الرفاعية بإنزال أنفسهم منازل أعظم من الأنبياء حتى أنزلوا أنفسهم منزل الألهية، قال تعالى: {يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} [الرعد: 39].

وكيف يطلب أن تعرض عليه أعمال أصحابه ليقيمها والأنبياء لم يؤمروا بذلك، قال صلى الله عليه وسلم: (إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم)[1].

3- قرية الرفاعي "أم عبيدة" البيت الحرام: أصبحت قرية "أم عبيدة" مسقط رأس الشيخ أحمد الرفاعي عند الرفاعية بقعة مقدسة تشد الرحال إليها، فقد ذكر الصيادي أن الشيخ الرفاعي قال: (قيل لي: قم فناد أهل المشرق والمغرب والسهل والجبل إلى زيارة هذه البقعة السعيدة، فقام الرفاعي وصار يشير بيده وهو واقف ويقول: تعالوا إلى "أم عبيدة"، تعالوا إلى هذه البقعة المباركة: كل شهر قوم، وكل سنة قوم، وكل وقت قوم)[2].

وفي ذلك مخالفة صريحة لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومسجد الأقصى)[3].

وجعلوا لقرية "أم عبيدة" فضائل عديدة فاقت فضائل البيت الحرام، منها: أن زائرها لا تأكله النار ولا تضره وهذا من وعد الله للشيخ الرفاعي كما يقولون[4]، وأن زيارتها وملازمتها كفيلة بقضاء كل حاجة[1]، ووصفوها

---

(1) متفق عليه، رواه البخاري، كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، (4094)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، (2500).

(2) قلادة الجواهر، محمد أبو الهدى الصيادي، ص(43).

(3) متفق عليه، رواه البخاري، كتاب أبواب التطوع، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، (1132)، ومسلم، كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، (3450).

(4) إرشاد المسلمين، الفاروثي، ص(87).

بأنها كعبة هموم المحققين، وحرم الأمان للطالبين، البيت المقدس الأمين، مهبط الرحمات، منبع الفتوحات، محط رحال العباد، ومنها ينشر الخير إلى سائر البلاد، البقعة المقدسة، طور سيناء قلوب العارفين[2].

فمتى يستجيبون لأمر الله تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ} [المائدة: 77]؟!

أوجه التلاقي بين الرفاعية والشيعة:

لقد خلف التشيع آثارًا واضحة في التصوف كما صرح بذلك جمع من العلماء والمحققين كابن خلدون في مقدمته وغيره، حيث قارن هؤلاء ما عند الشيعة من الغلو في الأئمة ومن تقديس قبورهم وقولهم بالعلم الباطن المسمى عند المتصوفة بـ "العلم المكتوم" أو "اللدني"، الذي يزعمون أن عليًّا رضي الله عنه أخذه عن النبي صلى الله عليه وسلم من دون الناس، ثم أخذه عنه الخاصة، وانتهوا إلى تلك الحقيقة: وهي أن (التصوف فرع من التشيع)[3].

ومن أوجه التلاقي: أن النبي صلى الله عليه وسلم نورٌ محض، وأنه لو بدا من نوره مثقال ذرة لاحترق ما بين العرش إلى الثرى[4]، وأن أهل بيته أنوار الوجود اللامعة وهي أجزاء من الرسول النورانية[5]، بل قالوا عن الرفاعي نفسه أنه مظهر الأنوار الإلهية لأن الله خلقه من نور وجهه[6]، ويعتقد الشيعة

---

(1) بوارق الحقائق، محمد مهدي الصيادي، ص(224).

(2) المصدر السابق، ص(221-226).

(3) انظر: مقدمة ابن خلدون، (322 و 472-475).

(4) حالة أهل الحقيقة مع الله، الرفاعي، ص(24).

(5) المعارف المحمدية في الوظائف الأحمدية، عز الدين الصيادي، ص(27).

(6) إرشاد المسلمين، الفاروثي، ص(7).

مثل ذلك فيقولون بأن الأنبياء والأوصياء مخلوقون من نور عظمة الله[1]، وقال الخميني: (إن الرسول والأئمة كانوا أنوارًا)[2].

ويعتقد الرفاعية أن مشايخهم وأئمتهم أمان لأهل الأرض، وقالوا بأن الشيخ علي الرفاعي كان أمانًا لأهل الأرض، وظلًّا ظليلًا على سائر الخلق[3]، وأن الله جعل أحمد الرفاعي ظلًّا يستظل به جميع الخلق[4]، وفي المقابل ينقل الشيعة عن أئمتهم قولهم: (ونحن أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء، ولو رفع الإمام من الأرض ساعة لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله)[5].

ويرى الرفاعي أن الأولياء خزائن الله في أرضه وسمائه يضع فيهم ودائع سره وآياته التي لم يطلع عليها ملك مقرب ولا نبي مرسل[6]، وهذا ما تعتقده الشيعة في أئمتها، فيقولون بأن عندهم علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفي عليهم شيء[7]، ويقول الخميني: (إن لأئمتنا مقامًا لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل)[8]، والتوافق بينهما ظاهر في تفضيل الأئمة والأولياء على الأنبياء والملائكة.

والرفاعية يعتقدون بإمامة الإثنى عشر الذين قالت الشيعة بإمامتهم، ويجعلون الرفاعي الإمام الثالث عشر بعدهم، يقول الصيادي: (ولم يأت في

(1) من لا يحضره الفقيه، ابن بابويه القمي، (414/4).
(2) الحكومة الإسلامية، الخميني، ص(52).
(3) قلادة الجواهر، محمد أبو الهدى الصيادي، ص(350).
(4) المصدر السابق، ص(35).
(5) كمال الدين وتمام النعمة، ابن بابويه القمي، (207/1).
(6) طبقات الصوفية، الشعراني، (173/1).
(7) الأصول من الكافي، الكليني، (261/1).
(8) الحكومة الإسلامية، الخميني، ص(53).

أهل البيت الظاهرين بعد سادة الأئمة الإثنى عشر سلام الله عليهم . ولي لله تعالى أعظم منزلة وأكمل عرفانًا من الشيخ أحمد الرفاعي)[1].

وأما تقسيم الأئمة إلى أقطاب وأبدال وأوتاد وأنجاب وأغواث، فإنه نظير تقسيم الباطنية للأئمة إلى الناطق والتالي والأساس والسابق، ولكلٍّ وظيفته في الكون، وقد أخذ الصوفية فكرة النقباء الإثنى عشر من الإسماعيلية، وكذلك فكرة أنهم لا يزيدون ولا ينقصون[2].

ويعتقد الصوفية أن النبي صلى الله عليه وسلم ألبس علي بن أبي طالب الخرقة . وهي لباس يرمز إلى أخذ السر (العلم الباطن) عنه . وأن عليًّا ألبسها الخاصة ممن أخذوا هذا العلم الباطن عنه وهكذا.

يقول ابن خلدون: (فشاركوا – يعني الصوفية – الإمامية والرافضة حيث جعلوا مستند طريقهم في لبس الخرقة أن عليًّا ألبسها الحسن البصري وأخذ عليه العهد بالتزام الطريق ... وهذا لا يعلم عن علي من وجه صحيح، ولم تكن هذه الطريقة خاصة بعلي كرم الله وجهه، بل الصحابة كلهم أسوة في طريق الهدى ... وفي تخصيص هذا بعلي دونهم رائحة من التشيع قوية، يفهم منها ومن غيرها من القول دخولهم في التشيع وانخراطهم في سلكه)[3].

وهذه الخرقة جعل الصيادي فيها سندًا من الشيخ أحمد الرفاعي إلى الحسن البصري، وهو أخذها من علي بن أبي طالب الذي ألبسه إياها[4]، إلى غير ذلك من النقولات التي توضح التلاقي الشديد بين الشيعة والرفاعية.

مولد الرفاعي وظلاله السياسية:

---

(1) المعارف المحمدية في الوظائف الأحمدية، عز الدين الصيادي، ص(2 و 73).

(2) الفتوحات المكية، ابن عربي، (9/2).

(3) مقدمة ابن خلدون، ص(323).

(4) قلادة الجواهر، محمد أبو الهدى الصيادي، (274).

حـرص الرفاعيــة علــى إقامــة مولــدهم كعــادة الطــرق الصــوفية، وفي هــذه الأيام لم تمنعهم الظـروف الأمنيـة الـتي تعيش فيهـا مصـر مـن إقامـة مولـد الرفـاعي، فقد انطلق المولد من دار المحفوظات بالقلعة وحتى جامع الرفاعي.

والعجيــب أن أتبــاع الطريقــة الرفاعيــة يحتفلــون بمؤســس الطريقــة الشــيخ ياسـين الرفـاعي المـدفون بالمسـجد ولـيس بالإمـام أحمـد الرفـاعى، الـذى تنتسـب له الطريقة والمدفون بالعراق.

وعلـى غـير طريقـة الصـوفيين في انعـزالهم عـن الحيـاة السياسـية، فقـد اسـتغل شـيخ الطريقـة الرفاعيـة طـارق ياسـين الاحتفـال بمولـد الرفـاعي لجمـع توقيعـات لتأسـيس حزبـه الجديـد "صـوت الحريـة"، وصـرح أنـه اقـترب مـن جمـع 15 ألـف عضــو مؤســس للحــزب، وأنــه اجتمــع وجميــع نــواب الطريقــة الرفاعيــة في كافــة المحافظـات خـلال تواجـدهم بالمولـد وأكـدوا لـه دعمهـم تأسـيس حـزب "صـوت الحريـة"، وأعربـوا عـن سـعادتهم بالفكـرة مـن خـلال التحميـد والتهليـل والتكبـير، على حد قوله.

كمـا أنـه سمـح لرجـل الأعمـال نجيـب سـاويرس بعمـل صـوان للإعـلان عـن حزبــه "المصــريون الأحــرار"، فوضــع مكاتــب عــدة لاســتقبال الجمهــور وعــرض مبادئ حزبه، كما وضع لافتة كبيرة تتحدث عن الحزب وتدعو له.

ويبــدو أنهــم يأخــذون الأمــر بجديــة حيــث ذكــرت صــفحة الطريقــة الرفاعيــة علــى موقــع التواصــل الاجتمــاعي "فــيس بــوك"، أن المكتــب السياســي للطريقــة أعلـن عـن بـدء العمـل في تشـكيل القـوائم لمرشـحي المجـالس النيابيـة . الشـعب والشـورى . مـن أبنـاء الطريقـة الرفاعيـة والصـوفية والأشـراف ومحـبي آل البيـت، ويأتي علـى رأس هـذة القـوائم شـيخ الطريقـة طـارق ياسـين الرفـاعي عـن دائـرة إمبابة.